ملاحظات عامة

ديوان ابن زيدون

بقلم السيد على أحمد باكثير (عدن)

إنه ليوم سعيد ، ذلك اليوم الذى أقبل إلى فى أصيله صديق الأديب الفاضل عمر بن محمد حيرز الحضرمى العدنى ، متأبطاً كتاباً ضخماً ، جميل التجليد ، حسن الشارة ، بديع الرواء ؛ فما أن وقع نظرى على عنوانه المرسوم على جلده بالحبر الذهبى « ديوان ابن زيدون » ، حتى امتلكنى السرور ، واستولى على الجذل ، وشع فى نفسى الطرب ؛ فما الحب الذى واصله حبيبه بعد طول الهجر ، واقطاع الأمل فى الوصل بأشد فرحاً منى بهذا الديوان الجميل الذى طالما اشتاقت نفوس الأدباء واشرأبت أعناقهم إليه .

ولم اكد أتصفحه ، حتى تجلت لى مظاهر العناية بتصحيح الكتاب ، وإبرازه فى أجمل حلة ، وأنضر رواء ، فشكرت للأستاذ المفضال الشيخ عبد الرحمن خليفة ، وظهيره فى ذلك الأستاذ كامل كيلانى ، تلك اليد البيضاء التى أسدياها إلى قراء العربية ، وطوقا بها — فيما طوقا به — جيد الأدب العربى بإبراز هذا الديوان العظيم لهذا الشاعر العبقرى الكريم .

ولم يقتصرا على تصحيحه وشرحه فحسب ، بل وفقا إلى تحليل شاعرية ابن زيدون ، وإظهار ما له من مزايا رائعة ، ومواهب سامية فى شعره .

ولقد استطاعا — بما بذلاه من شرح وتبيان مبنيين على دقة وإمعان — ان يستدرجا القارىء إلى رأيهما فى وضع ابن زيدون فى الصف الأول من فحول الشعراء الممتازين كالمتنبى ، والبحترى ، وابن الرومى ، ومن إليهم .

وقد قرأت الديوان ، وتنقلت فيه بين روضة وغدير ، وأمتعت نفسى بمطالعته كل الإمتاع ، وجعلته سلواى فى غربتى ، وانيسى فى وحدتى ؛ وعنّ لى ان اكتب ملاحظات بسيطة عرضت لى اثناء المطالعة علّ فيها فائدة لنفسى ، ولإخوانى الأدباء الكرام ؛ ورأيت أن اختص بها مجلة « المعرفة » لما لها من مكانة سامية فى نفوس قراء العربية ، ولأن

لها المحل الأول فى قلبى من بين أمثالها من الصحف والمجلات ؛ وها هى ذى الملاحظات على الترتيب :

١ ـ ابن زيدون بحترى المغرب

إنى لمغتبط جداً بما وفق إليه الأستاذان من الحجج الدامغة ، والبراهين الثابتة فى الابراء على نبوغ ابن زيدون وعبقريته واستحقاقه لأن يلقب بـ « بحترى المغرب » ، وأعد هذا فتحاً عظيماً فى عالم الأدب العربى ، ودرساً نافعاً للمشتغلين به يقضى عليهم أن يتعمقوا فى الدرس ، ويستفيضوا فى البحث ، ولا يقتصروا على النظرات السطحية والخلاصات المدرسية حتى لايقعوا فى أغلاط فاحشة ، أيسرها هضم حق شاعر متقدم نابغة كابن زيدون .

وكان الواجب عليهما أن يكتفيا بهذا الانتصار الباهر ، وأن يتهما رأيهما ـ ولا سيما بعد أن درسا ابن زيدون دراسة مستفيضة يعلمان أنها ستؤثر فى مشاعرهما إلى حد ما ، كما أثرت مثل هذه الحال فى غيرهما فى غير ابن زيدون ، ففضله على جميع الشعراء ـ فى الحكم الذى أصدراه من تفضيل ابن زيدون على البحترى فى تلك المواقف الشعرية التى قابلا فيها بين الشاعرين مما اشتركا فيه ، أو بعبارة أصح مما حذا فيه ابن زيدون حذو الوليد ، وقلد فيه أسلوبه ، حتى لايهضما حق شاعر نابغة كالبحترى بحجة الدفاع عن شاعر متقدم كابن زيدون .

إنى أوافق الأستاذين فى استحقاق ابن زيدون لقب « بحترى المغرب » لبلوغه الدرجة التى تؤهله لذلك ؛ ولأنه لايوجد فى شعراء المغرب أشبه بالبحترى منه فى : براعة أسلوبه ، وجمال تركيبه ، وسلاسة نظمه ، وروعة بيانه ؛ ولكنى لا أستطيع موافقتهما فيما يشتم من رائحة كلامهما من تفضيل المشبه على المشبه به فى مجموع شعرهما العام ، ولا فيما صرحا به من تفضيله عليه فى تلك المواقف الشعرية الرائعة التى قابلا بينهما فيها .

ولست بصدد البحث فى صحة الرأى الأول أو فساده ، لأن ذلك يستدعى الفصول الطوال ، ولا تكفى فيه عجالة كهذه ، ولكنى سأنبه على فساد الرأى الثانى ، وأرجو ان يكون معى القارىء فى عذر الأستاذين الكريمين فى هذا الوهم الذى دفعهما إليه الإعجاب والافتتان بشاعر مهضوم الحق درساه دراسة مستفيضة ، فاستطاعا أن يرجعا حقه إلى نصابه .

ولا اقول إنهما قصراً فى دراسة البحترى ، بل أعتقد أنهما درساه دراسة مستفيضة

كما صرحا بذلك ؛ ولكن الجديد يغلب القديم ، ولشعورهما بلذة الفوز الباهر الذى وفقا إليه فى دراسة ابن زيدون ـ ضد ذلك الرأى الذى يهضمه حقه ـ اثره البليغ فى ذلك الافتتان .

قال الأستاذان : « ومن العجيب أن ابن زيدون قد اشترك مع البحترى فى عدة صور شعرية ، كما اشترك مع غيره من الشعراء فكان ماذا ؟ كانت الصور الكلامية التى يبدعها الشاعران جديرة أن توضع فى أرق المتاحف حين يشتركان فى غرض واحد ، ولكن الصور التى أبدعها ابن زيدون جديرة بالجائزة الأولى فى أغلب الأحايين ؛ قال البحترى :

ولما حضرنا سدة الإذن أخرت ... رجال عن الباب الذى أنا داخله
فأفضيت من قرب إلى ذى مهابة ... أقابل بدر الأفق حين أقابله
كما انتصب الرمح الردينى ثقفت ... أنابيبه واهتز للطعن عامله
وكالبدر وافيناه تم سعوده ... وتم سناه واستهلت منازله
وسلمت فاعتاقت جنانى هيبة ... تنازعنى القول الذى أنا قائله
فلما تأملنا الطلاقة وانثنى ... إلى ببشر آنستنى مخايله
دنوت فقبلت الندى فى يد امرىء ... كريم محياه سباط أنامله
صفت ـ مثل مايصفو المدام ـ خلاله ... ورقت كما رق النسيم شمائله

وقال ابن زيدون :

فلما قضينا ماعنانا أداؤه ... وكل بما يرضيك داع فملحف
قرنا بحمد الله حمدك إنه ... لأوكد مايحظى لديه ويزلف
وعدنا إلى القصر الذى هو كعبة ... يغاديه منا ناظر أو مطرف
فإذ نحن طالعناه والأفق لابس ... عجاجته والأرض بالخيل ترجف
رأيناك فى أعلى المصلى كأنما ... تطلع من محراب داود يوسف
ولما حضرنا الإذن والدهر خادم ... نشير فيمضى والقضاء مصرف
وصلنا فقبلنا الندى منك فى يد ... بها يتلف المال الجسيم ويخلف
لقد جدت حتى ماينفس خصاصة ... وأمنت حتى ما بقلب تخوف

فأى الصورتين يفضل القارىء ؟

الحق أن الإنسان ليحار فى تفضيل إحدى الصورتين على الأخرى ، فقد كادتا تصلان إلى أقصى درجات الكمال ، وتجلى إبداع الشاعرين فيهما إلى أقصى حد ؛ ولكن المنصف

لايلبث ـ بعد طول الروية والأناة ـ أن يؤثر تلك الصورة الشعرية التي أبدعها ابن زيدون بحترى المغرب على صورة صاحبه بحترى المشرق » .

يلاحظ القارىء على قولهما « إن ابن زيدون قد اشترك مع البحترى فى عدة صور شعرية ... الخ » ، أنهما لو قالا : إن ابن زيدون قد حذا حذو البحترى فى عدة صور شعرية لكان أقرب إلى الواقع ، وليس فى ذلك من غضاضة على ابن زيدون ، ولا يعد من السرف الممقوت كما بين ذلك الأستاذان بما فيه الكفاية .

وإنما ذكرت هذا لأنبه القارىء إلى قاعدة يجب أن يجعلها دائماً نصب عينيه وأن تكون على ذكر منه ، وهى أنه لوجاز لأحد أن يفضل شاعراً على شاعر بالموازنة بين قطعتين من شعرهما ـ وذلك لايجوز قطعاً ـ أو إذا أراد أن يفاضل بين القطعتين وكان أحدهما محتذياً حذو الآخر ـ كما هو الواقع فى هاتين القطعتين ـ وجب عليه أن يتذكر أن الثانى قد اطلع على ما قاله الأول ، ولم يطلع الأول على ماقاله الثانى ، فليجعل هذا فى جملة الاعتبارات التى يعتبرها لتفضيل أحدهما على الآخر قبل أن يبت الحكم ، فاذا ظهر ـ بعد مراعاة الاعتبارات اللازمة ـ أن الثانى قد أربى على الأول ، فانه لايزال للأول شفيع من فضيلة السبق يدرأ عنه ملامة التقصير ، ولكن إذا قصر الثانى عن شأو الأول نظرنا ، فان كان بحيث يدعى ـ أو يدعى له ـ أنه فى رتبة الأول أو أنه أشعر منه مطلقاً أو فى تلك القطعة فقط ـ كابن زيدون فى رأى الأستاذين ـ كان للحكم أن يحمله وقر الملام ويوجه إليه سهم التأنيب لتقصيره عمن احتذاه مع ادعائه التفوق عليه ، وإن لم يكن كذلك ـ كابن زيدون نفسه فى رأينا ـ فانه إذا أحسن الاحتذاء وسما حتى قارب من الأصل قاب قوسين أو أدنى ـ كما فعل ابن زيدون فى هذه القطعة ـ كان على الحكم أن يشكر له هذا الإبداع بدلا من أن يلومه على التقصير ، لأن همة عظيمة وهامة كريمة تلك التى سمت به إلى محاكاة شاعر عظيم فى الرتبة الأولى من شعراء العربية ـ كالبحترى ـ فى أروع أساليبه وأبدع مواقفه ، إذ لم يقصر عن الأصل إلا كما قصرت الصورة عن الحقيقة .

وإذا انتهينا بالقارىء إلى هذه النقطة ، كان عليه أن يردد النظر فى هاتين القطعتين ، ويطيل التأمل فيهما ، ويكرر قراءتهما مرة بعد مرة ، فلا يلبث بعد طول الأناة والروية أن يظهر له فضل الأولى على الثانية ، وله بعد ذلك أن يشكر لابن زيدون إبداعه ، ويعذره فى تقصيره ـ إن كان من رأينا ـ وأن يوجه إليه سهام اللوم إن كان من رأى الأستاذين الجليلين .

ولا بأس من أن نساعد القارىء فى بحثه لنسهل له طريق الوصول إلى النتيجة ، فنقول : إن قطعة ابن زيدون هذه ترجع فى الأصل إلى قسمين : قسم احتذى فيه حذو الوليد فى هذه الأبيات ، التى يمدح بها الفتح بن خاقان ، وهو قوله : ولما حضرنا الإذن ... البيتين ، وقسم احتذى فيه حذو الوليد فى أبياته الرائية التى قالها فى المتوكل ، بمناسبة عيد الفطر إذ يقول :

فانعم بيوم الفطر عيناً إنه ... يوم أغر من الزمان مشهر
أظهرت عز الملك فيه بمحفل ... لجب يحاط الدين فيه ويتصر
خلنا الجبال تسير فيه وقد غدت ... عدداً يسير بها العديد الأكثر
فالخيل تصهل والنوارس تدعى ... والبيض تلمع والأسنة تزهر
والأرض خاشعة تميد بثقلها ... والجو معتكر الجوانب أغبر
والشمس ساطعة توقد فى الضحى ... طوراً ويطفئها العجاج الأكدر
حتى طلعت بضوء وجهك فانجلت ... تلك الدجى وانجاب ذاك العثير
وافتن فيك الناظرون فإصبع ... يومى إليك بها وعين تنظر
يجدون رؤيتك التى فازوا بها ... من أنعم الله التى لا تكفر
ذكروا لطلعتك النبى فهللوا ... لما طلعت من الصفوف وكبروا
حتى انتهيت إلى المصلى لابساً ... نور الهدى يبدو عليك ويظهر
ومشيت مشية خاشع متواضع ... لله لا يزهى ولا يتكبر
فلو أن مشتاقاً تكلف فوق ما ... فى وسعه لمشى إليك المنبر

وهو ما عدا البيتين المذكورين ، فليقارن القارىء الآن بين قطعتى كل موقف من الموقفين الشعريين على حدة ، ليتبين له مقدار ما وفق إليه كل من الشاعرين من براعة التصوير ، ودقة الوصف ، وليقابل أولا بين قوله : ولما حضرنا سدة الإذن ، وقوله : ولما حضرنا الإذن ، يجد أن فى الأول صورة شعرية بديعة ليست فى الثانى بما أفاضته عليه كلمة «سدة» ، ثم انظر إلى قوله : « أخرت رجال عن الباب الذى أنا داخله » كيف وصف لك ازدحام باب الممدوح بالرجال المستأذنين عليه ، وكيف أن البوابين يحافظون على النظام ، فلا يدخلون أحداً إلا بإذن خاص ؛ ثم اقرأ قوله : فأفضيت من قرب الخ . . وتأمل فى قوله : فأفضيت تجد فيه روعة ليست فى قوله وصلنا ، ففيه معنى الوصول وزيادة ، لأنه لم يدر كيف وصل.

ولا يعزب عن بالك أن هذا الموقف يقتضى أن تصور فيه الهيبة بأروع صورها وتجلى فى أسمى مجاليها ، وأنت ترى أن ابن زيدون لم يزد فى ذلك على أن قال : « والدهر خادم تشير فيمضى والقضاء مصرف » ، وهو - كما ترى - بديع يصور لك قوة الممدوح وعظمة ملكه ومضى أوامره ، حتى كأن الدهر خادم له ، يمضى ما يشير به والقضاء مصرف له ، ولكنه لم

يشعرك الهيبة العظيمة التي أشعرتها البحترى ، إذ مثلها لك حتى تكاد تلمسها بيدك ؛ وما ظنك بهيبة اعتاقت جنان أكبر شاعر فى عصره ، فأخذت تنازعه ما يريد من القول ، حتى إنه كلما لاك كلمة ليقولها جذبتها هيبة الموقف فألصقتها بحنكه ، فلم يزد على كلمة « السلام » . ثم انظر إليه كيف يصف لك وقوفه حائراً مبهوتاً متهيباً الدنو من الممدوح ، حتى تأمل طلاقة وجهه ، وتهلل أساريره بالبشر ، فحينئذ دنا منه وقبل يده ، بل قبل الندى فى يده ، بل فى يد امرىء كريم محياه ، سباط أنامله ! ثم قابل بين قوله: فقبلنا الندى منك فى يده ، وقوله: فقبلت الندى فى يد امرىء الخ ، تر أن الثانى أبلغ ؛ إذ لم يبينه بمن البيانية ، وقوله : « كريم محياه سباط أنامله » كناية عن سعة الكرم وفرط الجود ـ أبلغ من قوله : « بها يتلف المال الجسيم ويخلف » ، كما يحكم بذلك الذوق السليم .

وهنا نكل إلى ذوق القارىء ومعرفته... المقابلة بين القطعتين فى الموقف الثانى ، ليحكم بما يوحى إليه ذوقه السليم ، على أننا لا بد لنا من الإشارة ، إلى أن أبا الوليد ، قد أبدع فى هذا الموقف وأجاد أكثر ـ بكثير ـ منه فى الموقف الأول ، فان قوله : « رأيناك فى أعلى المصلى الخ . . . » روعة شعرية بديعة أغاذة ليس إلى وصفها من سبيل ؛ وكذا فى قوله : « والأفق لابس عجاجته » ، « والأرض باخيل ترجف » .

٢ ـ جاء فى ختام مقدمة الديوان ص ٥٦ « من لبس البياض وتختم بالعقيق ، وقرأ لأبى عمرو ، وتفقه للشافعى ، وروى شعر ابن زيدون ، فقد استكمل الظرف » ، والذى نحفظه من كتب الأدب ...وروى قصيدة «ابن زريق» يعنى قصيدة ابن زريق البغدادى المشهورة التى مطلعها :

لا تعذليه فان العذل يولعه قد قلت حقاً ولكن ليس يسمعه

فليراجع إذا كان هناك رواية أخرى لا نعلمها بهذا اللفظ .

٣ ـ وجاء فى ص ١٠ قوله :

ولئن تجنبت الرشاد بغدره لم يهو بى فى الغى غير هواك

بكسر التاء من تجنبت ، وأن المعنى لئن وقعت فى الغى بسبب غدرك بى ، فانى أنا لم يوقعنى فى الغى غير هواك ، وأقول : المتأمل فى البيت يجد أنه لا يفيد هذا المعنى إلا إذا كان بضم تاء تجنبت فلعلها غلطة مطبعية .

٤ ـ وجاء فى ص ١٦ قوله :

ولولاك لم تنقب زناد قريحتى فينتهب الظلماء من نارها سقط

بنصب ينتهب وهو خطأ لا يستقيم به المعنى ، وصوابه فينتهب بالجزم عطفاً على قوله تنقب .

٥ — فى ص ١٧ :

ونظم ثناء فى نظام ولاية تحلت به الدنيا لآلئه وسط

بفتح الواو من «وسط» ، والأغرب أنه بضمها جمع وسطى مؤنث أوسط .

٦ — ص ٢٤ قوله :

وليلة وافينا الكثيب لموعد سرى الأين لم يعلم لسراه مزحف

جاء فى شرحه أن الأين فى البيت هو الإعياء والتعب ، وهو غير صحيح ، بل هو هنا اسم من أسماء الحية ، وإليه يعود الضمير فى « لسراه » ، وعلى تفسير المصحح لا يكون للضمير ما يعود إليه ، وعجيب صدور هذا السهو من المصحح ، مع أنه قد فسر فى موضع آخر هذه الكلمة بالحية ، وذلك عند قول ابن زيدون فى ص ١٠٠ :

تهادى انسياب الأيم يعفو اثارها من الوشى مرقوم العطافين ذائل

والمزحف فى البيت أثر المشى ، ولا يجوز أن يفسر بالغاية .

٧ — قوله :

ذكرى لعهدك كالسهاد سرى فبرّح بالسليم

أقول صوابه كالعداد ، كما ورد فى الأصل ، وهو اهتياج الوجع عند اللديغ ، عند ما تم له سنة من يوم لدغ ؛ وعجيب أن يغرب عن بال المصحح ، مع أنه قد فسر هذه الكلمة نفسها بما ذكرناه عند قول ابن زيدون ص ١٩٨ :

أنا حين أطرق ليس يفتأ طارقى شوق كما طرق السليم عداد

٨ — ص ٥١ :

أيها ذا الوزير هأنا أشكو والعصا بدء قرعها للحليم
ما عنانا أن يأنف السابق المر بط فى العتق منه والتطهيم

قال فى الشرح : « وقد وجد هذا البيت — يعنى البيت الثانى — فى ديوانه على هذه الصورة . . . . . يأنف المربط فى العتق منه والتطهيم ، فأكتفينا بما ورد فى الروايات الأخرى » ، أقول : إن البيت — رغم الإكمال الذى أكمله به المصحح — لا يزال غير واضح المعنى ، والذى يظهر لى أن أصله هكذا :

ما عنانى من سابق يأنف المربط فى العتق منه والتطهيم

على أن تكون «ما» هنا منصوبا لأشكو ، و«من سابق» ميز لضمير المتكلم فى عنانى ، كقولك ساءنى ما نابك من أخ كريم .

٩ — ص ٧٤ :

ومتى سعيت لنازح متعذر فوجدته سهل المرام قريباً
وأراد فيك مرادك القدر الذى لا تستطيع لحكمه تعقيبا

قال المصحح: « ومتى سعيت لعل الأصل ولكم سعيت... البيت، والذى يظهر أن هذه الأبيات التى ختمت بها هذه القصيدة وقع فيها شىء من التحريف فليحرر » ؛ أقول : لم يقع فى الأبيات شىء من التحريف ، بل هى صحيحة المعنى ، مستقيمة اللفظ ، وإنما أوقع المصحح فى هذا الوهم توهمه أن متى فى البيت استفهامية ، وأن قوله « فوجدته » عطف على «سعيت» ، وليس كذلك ؛ بل متى هنا شرطية ، و « فوجدته » جملة دعائية ، وكذلك قوله : وأراد فيك مرادك ... البيت ؛ وعلى هذا فالبيتان واضحان ما عليهما غبار .

١٠ — ص ٨٦ :

وسطها دمية يروق اجتلا ه الكل منها ويفتن التبعيض

قال الشارح بعد أن أورد أبيات ابن الرومى فى (وحيد) المغنية: « إلى آخر هذه القصيدة الفذة التى نجتزىء منها بهذا القدر اليسير ، فليرجع إليها من شاء فى ديوانه ليقارن بين هذه القصيدة ، وبين قصيدة ابن زيدون » ، وأقول : إن المناسبة بين القصيدتين غير واضحة ، فلا معنى للمقارنة بينهما :

١١ — ص ١٠٠ ، قال ابن زيدون:

يجول وشاحاها على خيزرانة وتشرق فى موشيتين الخلاخل

أقول : قد جرى البحث فى هذا البيت ووقع فيه أخذ ورد بين الأستاذ العلامة الشيخ عبد الوهاب النجار ، والدكتور زكى مبارك ، كما نشر ذلك فى « البلاغ » ، وإنى أوافق الأستاذ النجار على ضبط كلمة « تشرق » بفتح التاء والراء من الشرق محركة ، ويؤيد أنه مراد الشاعر قوله : يجول وشاحاها لتحصل المقابلة بين جولان الوشاح، وشرق الخلاخل كناية عن رقة الخصر وامتلاء الساقين .

١٢ — ص ١١١ :

يا أيها الملك الجليل بكل ألسنا جلالك

هكذا جاء فى الكتاب مضبوطاً « بكل ألسنا » بالباء الجارة وإضافة ألسنا إلى « كل » المجرور بالباء ، وهو — فيما نرى — خطأ لا يستقيم به معنى البيت ، وصوابه — على ما يظهر — يكل ألسنا جلالك ، بنصب ألسنا على المفعولية ليكل بالياء المثناة مضمومة وكسر الكاف ، أى أن جلالك يكل ألسنا ويعييها عن وصفه .

١٣ — ص ١١٥ ، جاء فى الشرح : « وبعد هذا البيت وجد فى الأصل بعض بيت على هذه الصورة :

وحاشاك رام العذب إبلاغ سمعه فصم . . . . . »

أقول لعل أصله :

ومثلك رام العذل إبلاغ سمعه فصم برغم العاذلين عن العذل

١٤ — ص ١٤٣ ، قال ابن زيدون:

نغاديك ـ داعينا السلام ـ كمهدنا فلا يسمع الداعى ولا يرفع الستر

معنى البيت نغاديك يدعونا إلى مغاداتك السلام كمهدنا الخ . . . وهو معنى مستقيم ، ويجوز أن يكون أصل البيت : نغاديك داعين السلام ؛ أى نغاديك رافعين أصواتنا بالسلام عليك كمهدنا الخ . . . وهو عندى أقرب إلى الانسجام .

١٥ — ص ١٥٩ :

لقّينا من الواشين حتى رضينا الرسل أنفاس الرياح

جاء فى شرحه « لقد تعلمنا من الواشين حيلهم فى الوقوف على مكتوم أسرارنا حتى أصبحنا نقنع بأن تكون أنفاس الرياح بريداً يحمل عنا رسائل الحب والغرام » .

أقول: يتبادر إلى الذهن أن الشاعر لم يقصد هذا المعنى ، وأن معناه لقد لقينا من الواشين عنتاً عظيماً من جراء وشايتهم بنا واجتهادهم فى ذلك حتى أصبحنا لا نطمئن إلى الرسل خيفة أن يستميلهم الوشاة إليهم ، فيبوحوا بأسرارنا لديهم ، فاستبدلنا بهم أنفاس الرياح التى لا تفشى سرنا لأحد .

١٦ — ص ١٦٩ قال ابن زيدون :

سأعدى النفس فى نفس الثمال فقد لقح التشوق عن خيال

يظهر لى أن أصله « عن حيال » بالحاء المهملة ، مأخوذ من قول الشاعر العربى : لقحت حرب وائل عن حيال .

١٧ — ص ١٧٥ قال :

فإن أنثيت فالنفس أنأى نفيسة إذ الجسم لا يسمو لتذكيره ذكر

هكذا ضبط وفيه تحريف ظاهر ، وصوابه فإن أنثت من التأنيث ، وقوله : فالنفس أنأى نفيسة ، لعل صوابه « أسنى نفيسة » بالإضافة ، أو « أنثى نفيسة » برفع نفيسة على أنه خبر المبتدأ الذى هو النفس ، وأنث حال منها ، ومعنى البيت يشبه قول المتنبى :

فما التأنيث لاسم الشمس عيب ولا التذكير فخر للهلال

١٨ — ص ١٧٨ :

إذا استحفظت سر السرى جنح ليلها تنامى الغوامى الألوة والند

ضبطت كلمة استحفظت بالبناء للمفعول ، ويظهر لى أن صوابه استحفظت بالبناء للفاعل ، والمعنى أنها إذا استحفظت جنح الليل سر سراها، تم به عرفها الطيب .

١٩ – ص ١٨٧:

فلو صرفت صرف المنون جلالة لكنتْ محياهن تود تمتعا

هكذا جاء فى الكتاب وصوابه – فيما أظن – لصنت بدل لكنت ، فيستقيم به المعنى .

٢٠ – ص ١٨٨ قال ابن زيدون :

أسردتم فرأى نجى عيونكم شيحان مدلول عليهما ملهم

أقول لقد تبوحث فى هذا البيت ، والأرجح عندنا أن يكون أصله: فرأى نجى غيونكم، ولا حاجة لبيان ذلك فقد استوفى فيما نشر فى « البلاغ » .

٢١ – ١٨٩ قال ابن زيدون :

بالقدر يبعد والتواضع يدنى والشر يشمس والندى يتغيم

وجاء فى الشرح « فى الأصل :

بالقدر يبعد والتواضع يدنى والبشر شمس والندى يتغيم

والذى أثبتناه هنا هو ما يعطيه المعنى » ، أقول : إن إصلاح البشر بالشر غير صحيح ، ولا يستقيم به المعنى بل صوابه : والبشر يشمس أى تشرق شمسه ، أى يتهلل وجه الممدوح بشراً عند العطاء كالنهار المشمس ، ويتغيم نداه لتكاثفه وتلبده ، وهو معنى بديع كرره ابن زيدون فقال فى موضع آخر :

ياندى يحى أبى القاسم غم ياسنا شمس المحيا أشمس

٢٢ – ص ٢١٥ قال ابن زيدون :

لما وردت بورد حضرتك المنى فهمت لدىّ جمامها الأعداد

هكذا صححه المصحح وأصله « فهقت لدى جمامها الأعداد » ، والمتأمل يرى أن الأصل هو الصواب من فهق الاناء إذا امتلأ ، وأن التصحيح كان سهواً إن استقام به المعنى فلا يستقيم به اللفظ ، لأن « همت » فعل ماض ، والماضى لايحتاج إلى الفاء إذا وقع جواباً للشرط .

٢٣ – ص ٢١٩ قال ابن زيدون :

دهاه إذا ما جنه الليل أنه أقام عليه آخر الدهر سرمدا

هكذا جاء فى الكتاب وجاء فى شرحه « يقول : وقد أصبح يترقب جزعاً أن يكون حينه مرتبطاً بيومه وصار يتوجس الشر خوفاً من أن يكون ليله سرمداً إذا قتلته » ؛ وهو – كما

يراه القارىء ـ معنى متكلف لايعطيه البيت، والذى يظهر لى أن فيه تحريفاً : وأن كلة «دهاه» تحرفت عن « مناه » ؛ والمعنى أن ذاك الخائن إذا جنه الليل تمنى أن يكون ذلك الليل سرمداً لأنه يخاف أن يدلك عليه الصباح فتقتله أو تأسره ، ويدل على أن هذا المعنى هو المراد لا غيره قوله بعده:

يحاذر أن يلقى قتيلا معفراً ـ إذا الصبح وافى ـ أو أسيراً مقيدا

٢٤ ـ ص ٢٣١ ، قال ابن زيدون :

أليس عجيباً أن تشط النوى بك فأحيا كأن لم أنس نفح جنابك

وصوابه فيما يظهر « كأن لم أنس نفح جنابك » ، وقد استعملها ابن زيدون فى محل آخر فقال فى ص ٢٣٨ :

ألم تنس من أدبى نفحة حسبت بها المسك طيباً يغض

٢٥ ـ ص ٢٤٧ ، قال ابن زيدون :

فتلطفت لأن حليتنى مولياً طولى محلى ملبس

والظاهر أن كلة « طولى » محرفة عن « طوق » فليحرر.

٢٦ ـ ص ٢٥٠ قال :

ويافرط مابى إذا ما ظلمت فقمت أقبل تلك اليدا

وفى الأصل « ويافرط بأوى » ، وهذا هو الصواب ، أى يافرط عزى وفخرى . فاصلاحه بـ « يافرط مابى » سهو ولا معنى له ، إذ المقام مقام مدح ملك وليس مقام تغزل بمحبوب .

هذا ماتيسر لى تقييده من ملاحظاتى على ديوان ابن زيدون عند مطالعتى ـ المستعجلة ـ له ، وأنا فى (عدن) نازح الدار والسكن ، وليس لدى ما أستعين به على البحث من الكتب لاقليل ولا كثير ، فأرجو أن يكون فيما ذكرت عاذر لى فيما عسى أن يكون فى هذه الملاحظات من غلط أو شطط .

وفى الختام أكرر شكرى الخالص وثنائى الجميل لحضرتى الاستاذين الجليلين ، عبد الرحمن خليفة ، وكامل كيلانى على حسنتهما العظمى بخدمة هذا الديوان الجليل ، وعنايتهما الفائقة بتصحيحه وشرحه إلى جانب حسناتهما الكثيرة وأياديهما البيضاء فى سبيل خدمة الأدب العربى ، راجياً أن يقدرا هذه الملاحظات الضئيلة قدرها ويحملاها على المحمل الذى يليق بها ، فحسبها أنها وليدة الإخلاص فى خدمة الأدب العربى ، وعنوان التقدير لعملهما الكبير ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم . ؎

[عدن] على أحمد باكثير